

الفرج بعد الشدة

[372] فهنا أنا ذا طوفت شرقا ومغربا * وأنت وقد دوخت كل مكاني فلو كانت العنقاء منك تطيرني * لخلتك إلا أن يصد تراني عن مروان أبي حفصة قال: كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلبا شديدا وجعل لمن يأت به مالا فحدثني معن باليمن أنه اضطر لشدة الطلب إلى أن نام في الشمس حتى لوحث وجهه وخفف عارضيه ولبس جبة صوف غليظة وركب جملا من الجمال الثقالة وخرج عليه ليمضى إلى البادية: وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمرو بن هبيرة بلاء حسنا فخاف فاغتاظ المنصور ووجد في طلبه قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعني عبد أسود متقلدا سيفا حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على فقلت: ما لك؟ قال: طلبه أمير المؤمنين قلت: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ قال: أنت معن بن زائدة فقلت: يا هذا اتق الله وأين أنا من معن؟ قال: دع هذا عنك فأنا والله أعلم بك منك فقلت: فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء به فخذوه ولا تسفكوا دمي فقال: هاته فأخرجته إليه فنظر إليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك. فقلت قل: فقال إن الناس يصفوك بالجد فأخبرني هل وهبت قط مالك كله، قلت: لا. قال: فنصفه قلت: لا. قال: فثلثه حتى بلغ إلى عشره فاستحيت وقلت أظن أنني فعلت هذا فقال: ما أراك فعلته وأنا والله أعلم وورقي من أبي جعفر عشرون درهما، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك وجودك المأثور بين الناس لتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك، ولتحتقر بعد هذا كل شيء فعلته، ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى بالجوهر في حجري وخلي خطام البعير وانصرف فقلت خذ ما وهبته إليك فإنني عنه غني. فضحك وقال أردت أن تكذبني في مقالي هذا والله أعلم لا آخذه ولا آخذ للمعروف ثمنا أبدا ومضى فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبرا وكأن الأرض ابتلعتة قال وكان سبب